لا جنس للكتابة

ايليا حريق

١ – أولا، أود أن أوضّح أنني قارئ متذوق ولست بناقد وسيكون كل ما اورده في هذا النص محكوماً بالاعتبار المذكور.

ربما هناك روحية نسائية مميّزة في الكتابة إلا أنني أنا لم أشعر بها يوماً حتى بعد قراءتي لهذه الأسئلة الواردة في الاستمارة، كما وأني أستغرب كثيراً المقولة بأن المرأة تتأثر بخصوصيتها الفيزيولوجية عندما تكتب. فإني شخصياً قرأت لنساء عديدات ولم أكن أحيانا أعي أن « الكاتب » إمرأة، أي أني لم أكن أقرأ وأنا شاعر أنني في حالة خاصة.

إن المرأة في رأيي كالكاتب الرجل تماماً تبغي الخلق والفن والتعبير عن الذات ولا فرق بينها بين الرجل في نظري كقارئ. وهذا لا يعني نفي ذاتية المرأة أو التنكر لها إنما ينفي أن يكون للجنس دور يذكر في عملية الخلق الفني.

٢ – نعم المرأة في معظم الحالات لها وضع إجتماعي يختلف عن وضع الرجل خاصة في مجتمعاتنا العربية، وقد تتيح لها الكتابة فرصة للتعبير عن ذاتها بصورة أفضل وأقوى من وسائل أخرى للتعبير. إن اللواتي منهن يستخدمن الكلمة المدونة للاحتجاج على أوضاع المرأة في مجتمعاتهن أو على حالات إجتماعية غير مقبولة، هن ثائرات، وتميّز الصراحة عملهن، فالكتابة ليست مهرباً لهنّ من الواقع ولا هي وسيلة آمنة تقيهنّ من إضطهاد الرجل، فالرجل المسيطر بقدرته أن ينال منهن إن هنّ عبّرنا عن أنفسهنّ كتابة أو بصورة أخرى. وهناك كاتبات جريئات في العالم العربي لم يثن عزمهنّ النظام السياسي والإجتماعي السلطوي، أمثال نوال

سعداوي وليلى بعلبكي وحنان الشيخ وايفلين عقّاد وفاطمة مرنيسي وأليفة رفعت بطريقتها الخاصة. ولا شك أن هناك غيرهنّ كثيرات إلا أني إقتصرت على من قرأت لهنّ.

لست أدري إن كانت النساء تختار مواضيع خاصة وانطباعي أنهنّ في ذلك المضمار مثلهن مثل الرجال. إلا أنني ألاحظ ميزتهن الخاصة في صدق وعمق التعبير عن الحالات النسائية التي يعالجنها والعلاقات العائلية واهتمامهنّ بجماليات الكتابة. ويصدق ذلك في كتابة اميلي نصرالله واندريه شديد كما يصدق في كتابة نادين غورديمر وطوني موريسون. وطبعاً تزول معظم هذه الميزات عندما تكتب المرأة في المجالات الأكاديمية.

الكتابات الأدبية تتنوع تنوعاً كبيراً ولا أدري ما هو المقصود بلغة أو أسلوب ذكوري في الكتابة ما دام الذكور يختلفون إختلافاً كبيراً فيما بينهم في أسلوب الكتابة، والخلافات تلك تأتي لأسباب مختلفة، قد يكون عامل الانوثة أو الذكورة أقلها أهمية إن كان هناك من أهمية.

مما لا شك فيه أن ظروف المرأة العربية، خاصة في بلدان معينة، صعبة، والضوابط على حريتها شديدة وظالمة. إنما ذلك لا يصدق على كل المجتمعات العربية فإن المرأة في لبنان وسوريا ومصر وتونس والجزائر والمملكة المغربية قد خطت خطوات كبرى وجريئة وثورية، ولم تخش العقاب والمطاردة. وكثيرات منهنّ قد كتبن باللغة العربية. وإن كان منهن من كتبن بلغات أجنبية فذلك يعود إلى أسباب خاصة، إلى تربيتهن وأماكن سكنهنّ ولا يمكن أن تعتبر لغتهن الأجنبية بصورة من الصور هرباً من مواجهة الواقع. انما لم تقم المرأة العربية والكاتبات منهن بما يكفي من النضال الضروري من أجل التحرر. ومثل ذلك المذهب التحرري أهم بكثير من الانغماس والتقوقع في خصوصية المرأة الفيزيولوجية واختلافها عن الرجل. فقد تكون من هي كاتبة وخلاقة في وضع مشابه تماماً لوضع الرجل العربي وكلاهما يعيشان في محيط سلطوي سياسياً ومحافظ إجتماعياً.

ايليا حريق

* استاذ علوم سياسية – جامعة انديانا – الولايات المتحدة.